مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ١١: ١٩–٣٠)

في تلك الأيام لمّا تبدَّد الرسلُ من أجل الضيق الذي حصلَ بسببِ استِفانُسَ اجتازوا إلى فينيقيةَ وقُبرسَ وأنطاكية وهم لا يكلِّمون أحداً بالكلمةِ إلاّ اليهودَ فقط* ولكنَّ قوماً منهم كانوا قُبرُسيين وقيْروانيين. فهؤلاء لمّا دخلوا أنطاكية أخذوا يُكلِّمون اليونانيين مُبشِّرينَ بالربِّ يسوع* وكانت يدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورجَعوا إلى الرب* فبلغَ خبرُ ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية* فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ اللهِ فرحَ ووعظهم كلَّهم بأن يثبُتوا في الرب بعزيمةِ القلب* لأنَّه كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان. وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ* ثم خرج برنابا إلى طرسوسَ في طلبِ شاول. ولما وجده أتى به إلى أنطاكية* وتردَّدا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلّما جمعاً كثيراً ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في أنطاكية أولاً* وفي تلك الأيام انحدر من أورشليم أنبياءُ إلى أنطاكية* فقامَ

العدد ٢٠/٢٠١٢

الأحد ١٣ أيار

أحد السامرية

تذكار الشهيدة غليكرية (حلوة)

اللحن الرابع

إنجيل السَحر السابع

الماء الحيّ

نقيم في الكنيسة هذا الأحد تذكار المرأة السامرية التي يُخبرنا الإنجيلي يوحنا عن حادثة لقائها بالرب يسوع، ويأتي هذا التذكار بعد تعييدنا لإيمان توما بعدما شكّ، ولحاملات الطيب اللواتي بشَّرن الرسل بالقيامة، وبعد حادثة شفاء المخلّع الذي انتظر طويلاً لكي يرميه أحدٌ في مياه البركة الغنميّة لكي يشفى.

لقد طلب الرب يسوع من المرأة السامرية ماءً ليشرب فانتهى به الأمر أن أعطاها هو نفسه ماءً حيًّا إن شربت منه لن تعطش أبداً. بدورها، لم تبخَل المرأة السامرية بأن تتشارك هذا الماء الحيّ مع الآخرين الذين آمن كثيرون منهم بالرب بسبب كلامها.

للمياه رمزٌ كتابيٌّ هو «الحياة»، وهي الصفة ذاتها التي يطلقها المسيح على نفسه قائلاً: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦). نجد الرب يسوع يقول أيضاً: «مَن آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ» (يو ٧: ٣٨)، وكان يتكلّم عن الروح القدس الذي سيحلّ على المؤمنين به بعد صعوده وجلوسه عن يمين أبيه.

توما آمن بالرب بعدما رأى، لذلك قال الرب: «طوبى للذين آمنوا ولم يرَوا» (يو ٢٠: ٢٩). كيف نؤمن نحن في أيامنا هذه من دون أن نعاين؟ إن الأمر غاية في البساطة. لقد كتب الإنجيليون والرسل بإلهامٍ من الروح القدس ما تسلّموه من الربّ ورأوه من آياتٍ وسمعوه من أقوالٍ، وقامت الكنيسة بجمع هذه الكتابات على شكل كتابٍ هو الكتاب المقدّس الذي لم يَعُد كثيرون منّا يعيرونه أيَّ اهتمام، مكتفين إمّا بالمقطع الذي يُتلى على مسامعنا في القداس الإلهي أو في صلواتٍ أخرى، أو متحجّجين بقلّة وقت الفراغ الذي لا «نضيّعه» على القراءة، بل في أمورٍ نحسبُها أهمّ مثل السهرِ مع الرفاقَ للأكل والشرب والتكلّم في أمورٍ غالبيتها لا يحمل إلينا المنفعة لا الروحية ولا العقلية.

إنّ ماء الحياة بين أيدينا، ومع ذلك نذهب وراء الماء التي لا تروي، والتي تجعلنا نعطش أكثر كلما شربنا منها. كلام الرب مُنح لنا بأسهل الطُّرق، لكننا لا نقرأه ولا نسمعه في غالبيّة الأحيان، بل في أحيان كثيرة نفضل قراءة ما كُتب عن فنان مثلاً ونقوم

واحدٌ منهم اسمه أغابُوسُ فأنبأ بالروحِ أن ستكون مجاعةٌ عظيمةٌ على جميعِ المسكونة. وقد وقع ذلك في أيام كلوديوس قيصر* فحتم التلاميذُ بحسَبِ ما يتيسَّرُ لكلٍّ واحدٍ منهم أن يُرسِلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكِنين في أورشليم* ففعلوا ذلك وبعثوا إلى الشيوخ على أيدي برنابا وشاول.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥-٤٢)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ من السامِرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضَيْعَةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِه* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العين وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامِرَةِ لِتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَبَ* فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيف تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومن الذي قال لكِ أعْطيني لأشرَب لَطَلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقة. فمِن أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظَمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ

بالمستحيل لنبقى على اطّلاع على جميع أعماله الجديدة وعلى أصغرِ تفاصيل حياته، فنقضي وقتاً طويلاً نبحث في المجلات والإنترنت عن خبرٍ صغير يروي ظمأنا تُجاه هذا الشخص.

الأجيال الحاضرة واللاحقة هي أمام مشكلة أساسيّة هي الابتعاد عن الله وكلمته والبحث عن أمور أخرى أصبحت محورَ حياتِهم، وهذه الأمور أصبحت آلهةً يعبدونَها ويبتعدون بسببها عن الإله الحيّ الحقيقي الذي يُعطي الماء الحيّ لكلّ العِطاش الطالبين أن يستَقوا. فالله إلهُ الحريَّة، لا يُجبِرُ أحداً على المجيء إليه، وهذه الحريّة غالباً ما نسيءُ استعمالَها كونَ كلّ ما يحيطُ بنا قد عوَّدنا أن نكون كالآلات التي تتبع من دون أن تُفكّر حتى ولو أدّى بنا الأمر إلى الهلاك. الله أيضاً لا يُرى، وهذا ما جعل كثيرين يشكّكون بوجودِه، إذ إنّ الإنسان يريد أن يرى، أن يضع إصبعَه، يشاء أن يكون كلُّ شيءٍ محسوساً في سبيل أن يؤمن به. كلّ هذه الأمور وسواها جعلت الشعب المؤمن منذ القديم يقع في خطيئة «الزنى»، وهنا ليس المعنى الجسدي هو المقصود إنّما المعنى الكتابي أي «الابتعاد عن الله». هذه كانت خطيئة شعب إسرائيل الذي أخرجه الله من العبوديّة لكنّه عصاه وتبع آلهةً أخرى، غير أنّ الله الحنَّان أرسل له مَن ينقل إليه كلمته، أي الأنبياء، لكي يعود إليه ولا يبقى غارقاً في الضلال.

في مَثَل الغني ولعازر كان ابراهيم واضِحاً بأن لدينا موسى والأنبياء (لو ١٦: ٢٩)، أي لدينا الكتاب المقدَّس، الذي إذا قرأناه وفهمناه واتّبعنا تعاليمَه لا نصل إلى النهاية التي وصل إليها الغني حيث البكاء وصريف الأسنان.

إنّ قراءة كلمة الربِ تجعلُنا أقرب إليه، تجعل منَّا أُناساً يعرفون الله أكثر مثلما يتعرّف الحبيب على حبيبته أكثر كلما قرأ ما كتبته له من رسائل. لذلك، دعونا نقرأ الكتاب المقدس، حتى ولو لم نفهمه في بداية الأمر، لأنّنا كلما قرأنا أكثر سوف نفهم أكثر ونتعرّف على الله أكثر مقتربين منه، عندئذٍ نرتوي من الماء الحيّ الذي يسكبه الرب في نفوسنا، ونصبح قادرين أن نكون مثل المرأة السامرية، عنصرًا جاذباً للآخرين الذين سيؤمنون بسببنا.

خدمة الذبيحة الإلهية

في وجداننا الكنسي ان سر الشكر، أو القداس الإلهي، هو بالحقيقة تتويج لسلسلة من الأسرار التي يكمّل كل منها ما قبله ويؤسس لما بعده. وباكتمال هذه السلسلة الأسرارية، يتحقق انتقالنا الفائق كل وصف وتعبير من أبعاد الزمان والمكان إلى قلب سر الفداء الخلاصي، الفائق كل زمان ومكان.

قبل بدء القداس هناك خدمة الذبيحة الإلهية. إنها خدمة تهيئة القرابين، الخبز والخمر، التي سوف تتحوّل خلال القداس الإلهي بحلول الروح القدس إلى جسد ربنا يسوع المسيح ودمه الأقدسين. لعلّها الخدمة الوحيدة في ليتورجيتنا التي لا يشارك فيها المؤمنون مشاركة مباشرة كون الكاهن يقيمها على المذبح الشمالي داخل قدس الأقداس قبل بدء القداس الإلهي، ولا يرون ماذا يحصل هناك.

سوف نفتتح شرح الخدمة

وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطَش أيضاً. وأمَّا مَن يشربُ من الماءِ الذي أنا أُعطيهِ له فلن يعطَشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالتْ إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولِكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لك خمسةُ رِجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت له المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنَّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآب* أنتم تسجُدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنَّما يطلُبُ الساجدين له مثلَ هؤلاء* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مَسِيَّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخبِرُنا بكلِّ شيء* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معَكِ هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ

بتوطئة موجزة حول القرابين والأواني والمذبح. لقد قدّم لنا المسيح ربنا، في العشاء الأخير الذي أسس لسر الشكر، جسده ودمه الأقدسين بشكل خبز وخمر. لذا، فنحن نأتي إلى الكنيسة بهذين المكوِّنين الأساسيين للحياة الأرضية، من نتاج الأرض وعمل يدي الإنسان، فيقبلهما المسيح ربنا ويقرّبهما، وهو الكاهن الأعظم، ليتحوّلا بحلول الروح القدس إلى جسد الرب ودمه الأقدسين، المكوِّنين الأساسيين للحياة الأبدية. نحمل القرابين مقدِّمين للرب مما هو أعطانا، لا بل نقدِّم له أفضل ما أعطانا: «التي لك مما لك نقدمها لك عن كل شيء ومن جهة كل شيء». نقدِّمها مجبولة بتعبنا وعرق جبيننا لكي نقول للرب اننا نقدِّم ذواتنا معها.

في الكنيسة الأولى، عندما كان الشعب يزرع القمح ويحصده ويعصر الكرمة، كان يأتي بهما من بيته إلى الكنيسة لكي تستعملا في الذبيحة. ومَن كان فقيراً لا يملك أرضاً لزراعتها أو مالاً لشراء القمح والخمر، كان يذهب إلى نبع الماء ويأتي بالماء إلى الكنيسة لتُسكب في كأس الذبيحة، وبذا يكون بذل من ذاته جهداً وقدَّمه للرب كي يباركه.

الأواني المستعملة في الكنيسة لخدمة الأسرار الإلهية صارت، منذ زوال أزمنة الإضطهادات، ذهبية أو فضية أو موشاة بالذهب والفضة، مصنوعة بإتقان ومزينة بالأيقونات، لا لأن الله يحتاج لذهبنا أو فضّتنا، بل لأن المؤمنين يحبّون أن يقدّموا، من تُقاهم، أفضل الممكن لخدمة أسرار الله. ويبقى أثمن ما في الأواني أن كل قطعة منها تُكرَّس بصلاة خاصة قبل استعمالها للمرة الأولى، فتصبح مقدّسة لأنّ الله قدّسها. وفقط لأجل أنها تقدّست، تصبح أهلاً لخدمة مَن هو أصل القداسة ومنبعها. أما المذبح، فهو حنية صغيرة في زاوية الهيكل فيها أيقونة الميلاد: إنها المغارة الصغيرة المتواضعة التي ولد فيها المسيح ربّنا متواضعاً، لينطلق منها إلى إتمام سر فدائه الخلاصي.

يأتي الكاهن بالأواني (الكأس والصينية والحربة والأغطية)، وبالقربانة والخمر والماء، إلى المذبح وهو يتلو طروبارية بارامون الميلاد: «استعدي يا بيت لحم فإن عدن فُتحت للجميع. تهيأي يا إفراثا لأن عود الحياة أزهر في المغارة من البتول ... المسيح وُلد ليُنهض الصورة التي سقطت منذ القديم». بدء ظهور المسيح بالجسد كان في مغارة بيت لحم، لذلك بدء ظهور المسيح ليتورجياً يكون على المذبح المقدّس، الذي يمثّل مغارة ميلاده. المسيح وُلد بالجسد لأجل أن يُصلب: «لأجل هذا أتيت» (يو ١٢: ٢٧). بعدها يرفع الكاهن القربانة، بوقار كلّي، إلى مستوى جبهته ويقول: «إشتريتنا من لعنة الناموس لمّا سُمِّرتَ على الصليب، ولمّا طُعِنتَ بحربة انبعث للبشر عدمُ الموت يا مخلّصنا، فالمجد لك». رَفعُ القربانة يرمز إلى ارتفاع المسيح على الصليب، والوقار (باسم المؤمنين جميعاً) يرمز إلى رعدتنا وعرفاننا، نحن الذين اشترانا «من لعنة الناموس»، إزاء الثمن الهائل الذي دُفِع عنا. وللفور يقول الكاهن «تبارك الله إلهنا كل حين...». إنه إعلان العرفان بغنى صلاح الثالوث الأقدس ومحبّته الفائقي الوصف: الآب الذي شاء أن يحرّرنا، الإبن

فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكِنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها* فتركتِ المرأةُ جرَّتَها ومضتْ إلى المدينةِ وقالتْ للناس* تعالَوا انظُروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي أثناءِ ذلك سألهُ تلاميذُه قائلينَ يا معلّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذ فيما بينَهم ألعلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أن أعمَلَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتمِّمَ عملَهُ* ألستُم تقولون أنتم إنَّه يكونُ أربعةُ أشهر ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّةٍ لكي يفرح الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إنّي أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعَبوا أنتم فيه. فإنَّ آخرينَ تعِبوا وأنتم دخَلتم على تعبِهم* فآمَنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجل كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ أن يُقيم عندهم. فمكثَ هناك يَوْمَيْن* فآمنَ جمعٌ أكثرُ من أولئكَ جدًّا من أجل كلامه* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامِكِ نؤمنُ الآنَ. لأنّا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلّصُ العالم.

الأزلي الذي قبل أن يتخذ بشريتنا ويضع نفسه عنّا ذبيحة وقربان فداء ومصالحة، وبه تحررنا، والروح القدس الذي صار هو حرّيتنا.

عندئذ يضع الكاهن القربانة على صينية أمامه، ويصلّب عليها بالحربة ثلاثاً وهو يقول: «لتذكار ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح».

في العشاء الأخير، أسَّس المسيح بنفسه السر الشكري وخدَمَه وهو الكاهن الأعظم، تذكاراً لآلامه على الصليب، وإن كانت لم تحدث كما أوصانا بأن «إصنعوا هذا لذكري» (لو ٢٢: ١٩)، فيكون بهذا قد سلّمنا، بأمره وإرادته، إتمام سر ذبيحته الخلاصية.

لا بد من التشديد هنا على اننا لا نتذكر المسيح وآياته الخلاصية كما نتذكر حَدَثاً تاريخياً ما كمجرّد احتفال بذكرى: فداء المسيح وتدبيره الخلاصي حيّان ومستمرّان على مدى الزمان والمكان، كما أن المسيح نفسه حي ومستمّر على مدى الزمان والمكان. لذا، فإتمامنا الوصية «إصنعوا هذا لذكري» ينتقل بنا، بالحَدَث الآني المنظور الذي هو القداس الإلهي، إلى الحَدَث الأزلي غير المنظور الذي هو فداء المسيح المستمر. كل قدّاس إلهي يُقام على الأرض هو اشتراك في القداس القائم أبداً في السماء.

(يتبع)

القديس أبيفانيوس القبرصي

يُحكى عن القديس أبيفانيوس أسقف قبرص الذي نعيِّد له في ١٢ أيار انه أرسل إلى الأب إيلاريون إنساناً يستعطفه ويقول: دعنا نرى بعضنا قبل خروجنا من هذا الجسد. فلما التقيا فرحا جداً. ولمّا جلسا للطعام دُفعت إليهما دجاجة، فتناولها الأسقف وأعطاها للأب إيلاريون، فقال إيلاريون: سامحني يا أخي، لأنّي مذ أخذت الإسكيم لم آكل مذبوحاً. فقال له الأسقف: أمّا أنا فمنذ أن أخذت الإسكيم لم أترك أحداً ينام وفي قلبه عليّ شيء، ولا أنا نمت وفي قلبي شيء على أحد (متى ٥: ٢٣، مر ١١: ٢٥). قال الأب إيلاريون: سامحني يا أخي، لأن فضيلتك أعظم من فضيلتي.

رحلة إلى اليونان

ببركة صاحب السيادة المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام تنظم رعية كنيسة القديس ديمتريوس رحلة إلى اليونان. تشمل الرحلة زيارات لأهم الكنائس التاريخية والمعالم الأثرية وسيتم زيارة المدن التالية: أثينا حتى تسالونيكي مروراً بجبال الميتيورا (محيط جبل آثوس – دلفي – كرونثوس – جزر إيدرا – بوروس – أيينا) وذلك من ٢١ إلى ٢٩ تموز.

لمزيد من المعلومات الإتصال بمكتب الكنيسة على الأرقام التالية ٠١/٣٣٤٠٨٦ أو ٠١/٢١٦٨٨٥

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb